أخبار يزيد بن ضَبَّة

نسبه وولاؤه

وأسم أبيه مِقسم . وضبَّة أُمه غلبتْ على نَسبه ، لأن أباه مات وخلّفه صغيراً . وكانت أُمه تحضُن أولاد المغيرة بن شُعبة ، ثم أولاد أبنه عُروة بن المغيرة ، فكان يُنسب إليها يزيد لشهرتها ، أيامئذ . وولاؤه لبنى مالك بن حُطَيط .

هو بين ولاية هشام والوليد

وكان يزيد بن ضَبة مُنقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه يزيد بن عبد الملك ، فلما أفضت الخلافةُ إلى هشام بن عبد الملك دَخل إليه يزيد بن ضبة مُهنئاً بالخلافة ، فلما أستقرّ به المجلس ، ووصلت إليه الوفود ، وقامت الخطباء تُثني عليه ، والشُّعراء تمدحه ، مَثل يزيد بن ضبة بين السِّماطين فأستأذنه فى الإنشاد . فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فأمدحه وأنشده . وأمر بإخراجه . فبلغ الوليدَ خبرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار وقال له : لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتنى ، ولكن أخرُج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سوّغتك جميع غلّته ، ومهما أحتجتَ إليه من شىء بعد ذلك فالْتمسه منّى . فخرج إلى الطائف ، فلم يَزل مُقيماً بها إلى أن مات هشام ، وولى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفد عليه . فلما دَخل عليه والناسُ بين يديه جلوسٌ ووقوفٌ على مَراتبهم ، سلّم عليه وهنّأه بالخلافة . فأدناه الوليدُ وضمّه إليه ، وقبّل ابنُ ضَبة رجلَه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحبته إياى ، وأنقطاعه إلىّ . فأستأذنه يزيدُ فى الإنشاد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذى أمرنى[1] عمُّك هشام بالإنشاد فيه ، قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذن له . فأنشده قَصيدةً ، أولُها :

---

(١) فى الأغانى : « نهانى »

سُلَيمى تلك فى العِيرِ قِفِى أُخبرك[1] أَو سيرِى
إذا ما بِنتِ لم تأوِى لصَبٍّ القَلب مَغْمور

يقول فى مَديحها :

ويُعطى الذّهبَ الأَحْـ ـــر وَزْناً بالقَناطير
بلَوْناه فأَحمَدنا ه فى عُسْر ومَيْسور
كريمُ العُود والعُنْصـ ـر غَمرٌ غير مَنْزور
إمامٌ يُوضِح الحقّ له نُور على نُور
بإحكامٍ وإخلاص وتَفْهيم وتَحْبير

فأَمر الوليدُ بعدّ أبيات القَصيدة ويُعْطى لكُل بيت ألف درهم . فكانت خمسين بيتاً ، فأُعطى خمسين ألفاً .

وكان أولَ خليفة عدّ أبيات الشعر فأعطى على عددها بكُل بيت ألف درهم ، ثم لم يفعل ذلك بعده أحد إلا هارون الرَّشيد ، فإنه بلغه خبرُ يزيد بن ضبة مع الوليد ، فأعطى مروان بن أبى حفصة ومَنصورا النَّمَرىّ ، لمّا مَدحاه وهَجَوا آل أبى طالب ، لكل بيت ألف درهم .

* * *

إسماعيل بن الهربذ

ثم ذكر أبو الفرج : إسماعيل بن الهربذ ، مولى آل الزُّبَير بن العوّام ، وكان مُغنِّياً ، غنَّى الوليد بن يزيد ، وعُمِّر إلى أيام الرشيد وغناه ، ولم أَختر شيئاً من أخباره .

(١) فى الأغانى : « أسألك » .

أخبار نابغة بنى شيبان

نسبه

وهو عبد الله بن المُخارق بن سُلَيم بن حُصْرة بن قيس بن سِنان بن حمّاد ابن حارثة بن عَمرو بن أبى ربيعة بن ذُهل بن شَيبان بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

شاعر بدوى

شاعر بدوىّ من شُعراء الدولة الأُموية . وكان يفد إلى الشام إلى خُلفاء بنى أُمية فيمدحهم ويُجزلون عطاءه .

دينه

قال أبو الفرج :

وكان فيما أرى نصرانيًّا ، لأنى وجدتُه فى شعره يَحلف بالإنجيل والرُّهبان والأيمان التى يحلف بها النَّصارى .

ممدوحوه

ومدح عبد الملك بن مَروان ، وولده ، وولد ولده [1] . وله فى الوليد بن يزيد ابن عبد الملك مدائحُ كثيرة .

مدحه لعبد الملك عند همه بخلع أخيه وتولية ابنه

وذُكر أن عبد الملك بن مَروان لما هَمّ بخَلع أخيه عبد العزيز من ولاية عَهده ونقل ذلك إلى وَلده الوليد بن عبد الملك ، وكان نابغة بنى شيبان مدَّاحاً لعبد الملك ومُنقطعاً إليه ، دخل إليه فى يومٍ حَفل بالناس والناسُ حواليه ، وولده قُدّامه ، فمثل بين يديه وأنشده قولَه :

أَشْتقتَ وانهل دمعُ عينك أن ... أضحى قِفاراً من أهله [2] طَلَحُ

أزحْتَ عنّا آلَ الزُّبير فلو ... كانوا همُ المالكين ما صَلَحوا

---

(١) فى الأغانى : « ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده » .

(٢) طلح : موضع دون الطائف .

إنْ تَلْقَ بَلْوَى فأنتَ مُصْطَبِرٌ ... وإن تُلاقِ النَّعْمَى فلا فَرِحُ
آلُ أبى العاصِ أهلُ مأثُرَةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نفحوا
خيرُ قُريش وهم أفاضلُها ... فى الجِدِّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزحوا
أرحبُها أذْرُعاً وأصبرُها ... أنتم إذا القوم فى الوَغَى كَلَحوا
أمّا قُريش فأنتَ وارثُها ... تكُفّ من شَغبهم (١) إذا طَمحوا
حفظتَ ما ضَيَّعوا وزَنْدَهُمُ ... أَوريتَ إن أَصْلدوا (٢) وقد قَدحوا
آليتُ جهداً وصادقٌ قَسمى ... بربِّ عبدِ الله (٣) يَنْتصح
لأَبنُك أَوْلى بمُلك والده ... ونجم من قد عصاك مُطَّرح
داود عَدْلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نَصحوا
وهم خيارٌ فاعمل بسُنتهم ... واُحْىَ بخيرٍ واكْدح كما كَدحوا

فتبسّم عبدُ الملك ولم يتكلم فى ذلك بإقرار (٤) ولا دَفع. فعلم الناس أنّ رأيه خَلعُ عبد العزيز أخيه. وبلغ عبدَ العزيز قولُ النابغة. فقال: أَدخل ابنُ النَّصرانية نفسه مُدْخلاً ضيِّقاً، وأوردها مَوْرداً خَطِراً، ولله علىّ إن ظفرتُ به لأَخضِبنّ قَدمه بدمه.

وله يهنئه يزيد بمقتل ابن المهلب

وذُكر أنه لما قُتل يزيد بن المهلب بن أبى صُفرة، الخارج على يزيد بن عبد الملك، دخل النابغةُ الشيبانى على يزيد بن عبد الملك، فأنشده قولَه فى تهنئته بالفَتح:

ألاَ طال التَّنظر والثَّواء ... وجاء الصَّيف وانكشف الغِطاء
وليس يُقيم ذو شَجَنٍ مُقيمٍ ... ولا يَمْضى إذا ابْتغى المَضاء

(١) فى الأغانى: «صعبهم».
(٢) أصلد الزند: قدحه ولم يور.
(٣) فى الديوان: «برب عبد تجنه الكرح». والكرح: بيوت للرهبان.
(٤) فى بعض أصول الأغانى: «بإنذار». وفى سائرها: «بإقدار».

طَوَالَ الدَّهر إلّا فى كِتابٍ بمقدار[1] يوافقه القَضاء
فما يُعْطَى الحريصُ غِنَى لحرصٍ وقد يَنْمِى لذى الجود الثَّراء
وكلُّ شديدةٍ نزلت[2] بقوم سَيتبعُها إذا انتهت الرخاء

يقول فيها :

أَؤُمُّ فتًى من الأعياص مَلْكاً أَغرَّ كأن غُرّته ضِياء
لأُسْمِعه غريبَ الشِّعر مدحاً وأُثني حيث يتَّصل الثَّناء
يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً ويَنْمِى كلّما ابتغى النَّماء
فَضْضتَ كتائب الأزدىّ فضًّا بكَبْشك حين لَفَّهما اللِّقاء
سَمَكْتَ[3] المُلْك مُقْتَبلاً جَديداً كما سُمِكتْ على الأرض السَّماء
نرجِّى أن تدوم لنا إماماً وفى مُلك الوليد لنا رَجاء
هشامٌ والوليدُ وكلُّ نَفس تُريد لك الفَناء لك الفِداء

وهى طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب ، وأن تُوقَر بُرًّا وزَبيباً ، وكساه وأجزل صلته .

وفوده على الشام حين ولى هشام

ولما وَلى الخلافةَ هشامُ بن عبد الملك وَفد عليه ، فلما رآه قال : يا ماصّ . ما أبقت المواسِى من بَظر أمه ، ألست القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نَفْس تُريدُ لك الفَناء لك الفِداء

أخرجوه عنّى ، فوالله لا يَرْزؤنى[4] شيئاً أبداً . فلم يزل طول أيّامه طريداً حتى ولى الوليد . فوفد إليه ومَدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

(١) فى الأغانى : « ومقدار » .
(٢) فى الأغانى : « بحى » مكان « بقوم » .
(٣) سمك : رفع .
(٤) أى لا يصيب منى شيئاً .

وشعر النابغة الذى فيه الغِناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أيها الساقى سَقتْه[1] مُزنةٌ ... من رَبيعٍ ذى أَهاضِيبَ[2] وطَشّْ
أمدح الكأس ومَن أعملها ... وأَهْجُ قوماً قَتلونا بالعَطَش
إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ ... فإذا ما غاب عنّا لم نَعِش
وكأنّ الشَّرْب قومٌ مُوِّتوا ... من يَقُمْ منهم لأمرٍ يَرْتعش
خُرُس الألسُن مما نالهم ... بين مَصروع وصاحٍ مُنْتعش
مِن حُمَيّا قَرْقف حُصّيةٍ ... قَهوة حَوْليةٍ[3] لم تُمتَحش
يَنفع المزكومَ منها رِيحُها ... ثم تَنفى داءه إن[4] لم تُنشّ
كُل من يَشربها يألفُها ... يُنفق الأموال فيها كُلُّ هَشّ

وهى قصيدة طويلة .

---

(١) فى الأغانى : « سقتك » .

(٢) الربيع : المطر فى أول فصل الربيع . والأهاضيب : ما تحلب من القطر بعد القطر. والطش : المطر الضعيف .

(٣) الحميا : دبيب الشراب . والقرقف . الخمر . والحصية : نسبة إلى الحص ، وهو الزعفران . والحولية : التى مضى عليها حول . ولم تمتحش ، أى لم تصبها النار .

(٤) لم تنش ، أى لم تسكر .

أخبار أبي دهبل

نسبه

وهو وَهب بن زَمْعـــة بن أُسيد بن أُحيحة بن خَلف بن وَهب بن خذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر .

أمه

وأُم أبى دَهبل هُزيلة بنت سَلَمة ، من هُذيل .

من جماله وأول قوله الشعر

وكان أبو دَهبل رجلاً جميلاً ، شـاعراً ، وكانت له جُمَّـة يُرسلها تَضرب مَنْكِبيه . وقال الشِّعر فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه .ومَدح مُعَاوية ابن أبى سُفيان ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وولّاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن .

هو وعمرة

وقيل : كان أبو دَهبل سـيّداً من سادات بنى جُمح ، يَحمل الحمالات ، ويُعطى الفقراء ، ويَقْرى الضيف . فهوى أُمرأةً من قومه يقال لها : عَمْرة . وكانت جَزْلة يجتمع إليها الرجالُ للمُحادثة . فكان أبو دَهبـل لا يُفارق مجلسها مع كُل من يَجتمع إليها ، وكانت هى أيضاً مُحبة له .

ذُكر أنه تزوّجها بعد ذلك . وقيل. لم يصل إليها. وكانت عَمْرة تُوصيه بحفظ ما بينهما وكِتمانه . فضَمن لها ذلك . واتصل ما بينهما ، فوقفتْ على ذلك زوجتُه . فدسّت إلى عَمرة أُمرأةً داهيةً من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتْها طويلاً . ثم قالت لها فى عُرض حديثها : إنى لأعجب لك كيف لا تتزوّجين أبا دَهبل مع ما بينكما ! قالت : وأى شىء بين مثلى وبين مثل أبى دَهبل ! فتضاحكت وقالت : أتسترين عنى شيئاً قد تحـدّثت به أشراف قُريش فى مَجالسها . وسُوقة أهل الحجاز فى أسواقها ، والسُّقاة فى مواردها ! فما يتدافع اثنان فى أنه يهواكِ وتَهوينـه . فوثبتْ

عن مَجلسها واُحتجبت ومَنعت كُلَّ من يُجالسها من المَصير إليها . وجاء أبو دَهبل على عادته . فحجبته ، وأرسلت إليه بما يكره . ففى ذلك يقول :

تطاول هـــذا الليـــلُ ما يتبلَّجُ ... وأعيتْ غَواشِى عَـبْرتى ما تَفَرَّجُ
وبِتُّ كئيباً ما أنام كأنما ... خِـلالَ ضُـــلوعى جمرةٌ تتوهَّج
فطوْراً أُمنِّى النَّفس من عَمْرة المُنَى ... وطَوراً إذا ما لجّ بى الحُزن أَنْشِج
لقـــد قَطع الواشُون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصَل الحبـــلُ أحوج
هُمُ مَنعونا ما نُحب وأوقـــدوا ... علينـــا وشَـبُّوا نار صُرم تَـأَجَّج
ولو تركونا لا هَـدَى الله[1] أمرهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشر يُنْسَج
لأَوْشك صَرْفُ الدَّهر يفرُق بيننـا ... ولا يَستقيم الدَّهرُ والدهرُ أعوج
عسى كُرْبةٌ أمسيتِ فيهـــا مُقيمةً ... يكون لنا منهـــا نجاةٌ ومَخرج
فيُكْبَتَ أعـــداءٌ ويَجْـذَل آلفٌ ... له كَبِـــدٌ من لوعة الحُبِّ تُلْعَج
وإنى لَمَذْعورٌ[2] عشـيّة زُرتُهـــا ... وكنتُ إذا ما جئتُهـــا لا أُعـــرِّج
أُخطِّط فى ظَهر الحَصـــير كأننى ... أسيرٌ يَخاف القَتْـل لهْـفان[3] مُلْفَج
وأَشـفَق قلبى من فراق خريدةٍ ... لهـا نَسَبٌ فى فرع فِهْرٍ مُتوَّج
يَحُول وَشَاحاها ويَغْتصّ[4] حَجْلهـا ... ويَشْبَع منهـا وقْفُ عاج[5] ودُمْلج
فلمـا اُلتقينا لَجْلَجت فى حديثهـا ... ومن آية الصَّد الحـديثُ المُلَجلج

وقال فيها أيضاً :

يلومُوننى فى غـير ذَنب جنيتُـــه ... وغـيرىَ بالذَّنب الذى كان أَلْومُ

---

(١) فى الأغانى : « سعيهم » مكان « أمرهم » .
(٢) فى الأغانى : « لمحزون » . مكان « لمذعور » .
(٣) فى الأغانى : « ولهان » مكان « لهفان » . والملفج : الفقير المحتاج .
(٤) يغتص : يمتلىء .
(٥) الوقف : السوار .

أمنّا أُناساً كنتِ تأتمنينهم ... فَزادوا علينا فى الحديثِ[1] وأَوْهَموا
وقالوا لنا ما لم نَقُل ثم كَثَّروا ... علينا وباحُوا بالذى كنت أكتُم
وقد مُنحتْ عَينى القَذى لفِراقهم ... وعاد لها تَهتانُها فهى تَسْجُم
وصافيتُ نِسْواناً فلم أرَ فيهمُ ... هوايَ ولا الوُدُّ الذى كنتُ أعلم
أليس عظيماً أن نكون ببلدةٍ ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

هو وعاتكة

وذكر أن عاتكة بنت معاوية بن أبى سُفيان حَجَّت فنزلتْ من مكة بذِى طُوًى . فبينا هى ذاتَ يومٍ جالسةٌ ، وقد اشتدّ الحرُّ وانقطع الطريقُ ، وذلك فى وقت الهاجرة ، فأمرت جواريها فرفَعْن السِّتر ، وهى جالسة فى مجلسها ، عليها شُفوف لها ، تنظُر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دَهْبل الجُمحىّ ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأجملهم منظراً ، فوقف طويلاً ينظُر إليها وإلى جَمالها ، وهى غافلةٌ عنه . فلما فَطِنتْ له سَترت وجهها وأمرت بطَرْح الستر وشَتمتْه . فقال أبو دَهْبل :

إنّى دَعانى الحَيْنُ فاُقتادنى ... حتى رأيتُ الظَّبى بالبابِ
يا حُسْنه إذ سَبَّنى مُدْبِراً ... مُستتراً عنِّى بجِلْبابِ
سُبحان من وقَّفها حسرةً ... صُبَّتْ على القَلْبِ بأَوْصاب
يذُود عنها إن تطلّبتُها ... أبٌ لها ليس بوهّاب
أَحلَّها قصراً منيعَ الذُّرى ... يُحْمَى بأبوابٍ وحُجَّاب

وأنشد أبو دَهْبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرت . وغنّى فيها المُغنُّون حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً ، فضحكتْ وأعجبتها ، وبعثت إليه بكُسوة . وجَرت الرُّسُلُ بينهما ، فلما صَدرت عن مكة خَرج معها إلى الشام ،

(١) أوهموا : نقصوا .

فنزل قريباً منها . فكانت تعاهدُه بالبرِّ واللُّطف ، حتى وَرَدت دِمشق ووَرد معها. فانقطعت عن لقائه وعجز عن أن يراها ، ومَرِض بدمشق مرضاً طويلاً ، فقال فى ذلك :

طال لَيلى وبتُّ كالمَحْزونِ ... ومَلِلْتُ الثَّواء فى (١) جَيْرُونِ
وأَطَلتُ المُقـــام بالشَّأم حتّى ... ظَنَّ أهلى مُرَجَّمـاتِ الظُّنون
فبكتْ خَشيةَ التفرُّق جُمْلٌ ... كبكاء القَرين إثْرَ القَرين
ولَقَدْ قُلْتُ إذ تطاول سُقْمى ... وتَقَلَّبْتُ ليلتى فى فُنون
ليت شِعرى أعن هَوًى طار نَوْمى ... أم بَرانى البارى قَصِيرَ الجُفون
وهى زهراء مثل لُؤلؤة الغَوّا ... صِ مِيزتْ من جَوهر مَكْنون
وإذا ما نَسَبْتَهَا لم تجِدْها ... فى سَناءٍ من المَكارم دُون
تَجعل المِسْك والأَلُوَّة والنَّـــدَّ صِلاءً لها (٢) على الكانون
ثم خاصرتُها إلى القُبة الخَضْـــراء تَمْشى فى مَرْمر (٣) مَسْنون
قُبَّـــة من مَراجلٍ ضَربوها ... عنـد بَرْد الشتا فى قَيْطون
عن يَسارى إذا دخلتُ من البا ... ب وإن كنتُ خارجاً عن يَمينى

هو ومعاوية

وشاع هذا الشِّعرُ حتى بلغ معاوية بن أبى سُفيان ، فأمسك عنه، حتى إذا كان فى يوم الجمعة دَخل عليه الناسُ وفيهم أبو دَهْبل ، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دَهْبل الخُروج فامْنعه وارْدُدْه علىّ . فجعل الناسُ يُسلِّمون ويَنصرفون ، فقام أبو دَهْبل لينصرف ، فناداه مُعاوية : يا أبا دَهبل ، هلُمَّ إلىّ . فلما دنا منه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما ظننتُ أن فى قُريش أشعر منك ، حيث تقول :

* ولقد قلتُ إذ تطاول سقمى *

(١) جيرون : حصن بدمشق . وقيل : هو دمشق بعينها .
(٢) الألوة : العود . والذى فى الأغانى : «وليلتجوج» . وهو عود البخور والصلاء : ما تصطلى به .
(٣) المسنون : ما كان على استواء.

وأنشده هـذا البيت والأبيات الثلاثة بعده ، ثم قال : والله إن فتـاةً أبوها معاوية، وجدُّها أبو سفيان ، وجدّتها هِندبنت عُتبة ، لكما ذكرتَ، فأىَّشىء زدتَ فى قَدرها ! ولقد أسأت فى قولك :

ثم خاصرتُهـا إلى القُبـة الخَضْـراء تمشى فى مَرمر مَسـنون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ هـذا ، وإنما قيل على لسانى . فقال : أما مِن جهتى فلا خوف عليك ، لأنى أعلم صـيانة اُبنتى نَفْسها ، وأعلم أن فِتيان الشّعراء لم يتركوا أنْ يقولوا فى النَّسيب فى كُل مَن جاز أن يقولوه فيـه ، وكُلٌّ من لم يَجُز ، وإنما أكره لك جِوار يزيد وأخاف عليك وَثَبـاته ، فإن له سورة الشّباب وأَنفة المُلوك . وإنما أراد معـاوية أن يَهْرُب أبو دَهْبل فتَنقضى المقالةُ عن اُبنته . فحذِر أبو دَهبل وخَرج إلى مكة هارباً على وَجهـه ، فـكان يُـكاتب عاتكة . فبينا معـــاويةُ ذاتَ يوم فى مجلسه ، إذ جاءه خَصِىّ له ، فقال : يا أمير المُؤمنين ، لقد سَقط اليومَ إلى عاتكةَ كتابٌ ، فلما قرأتْه بكت ، ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصلَّاها ، وما زالت خاثرةَ النفس منـذ اليوم . فقال له : اُذهب فالطُف لهذا الـكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخصىّ فلم يَزل حتى أصاب منها غِرّة ، فأخذ الـكتاب فأقبل به على معاوية ، فإذا فيه :

أعاتِكُ هـلّا إذ بَخِلْت فـلا تَرَىْ ... لذى صَبْوَةٍ زُلْفَى لديك ولا حَقّـا
رَددتِ فؤاداً قـد تولَّى به الهَوى ... وسكَّنْتِ عيناً لا تَمَـلُّ ولا تَرْقا
ولـكنْ خلبت القَلْب بالوَعد والمُنَى ... ولم أَرَ يوماً منك جُوداً ولا صِـدْقا
أَتَنْسَين أيامى برَبْعـك مُـدْنَفاً ... صَريعاً بأرض الشام ذا سَـقَم مُلْقى
وليس صـديقٌ يُرْتَضى لوصـيَّة ... وأدعو لدائى بالشَّراب فلا أُسْـقى
فوا كبـدِى إذ ليس لى منك مجلسٌ ... فأشكو الذى بى مِن هَواك وما أَلْقى
رأيتُك تزدادين للصَّبّ غِلْظَـةً ... فيزداد قَلبى كُلَّ يومٍ لـكم عِشْـقا

فلما قرأ مُعاوية الشِّعر بعث إلى أبنه يزيد . فأتاه فدخل عليه ، فوجد معاويةَ مُطرقاً ، فقال :يا أمير المؤمنين ، ما هـذا الأَمر الذى شَجاك ؟ قال : أمر أمرضنى وأَقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شأنه . قال : وما هو ؟ قال : هذا الفاسقُ أبو دَهْبل ، كتب بهـذه الأبيات إلى أُختك فلم تزل باكيـةً إلى اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الشأن فى أمره لهيِّن . قال : وما هو ؟ قال : عَبد من عَبيدك يَكْمُن له فى بعض أَزقة مكّة فيُريحنا منـه . فقال معـاوية : والله إن اُمرأً يُريد بك ما يُريد ، ويَسمو بك إلى ما يسمو ، لغـير ذى رأى ! وأنت قد ضاق ذَرعك بكَلمة وقَصُر فيها باعُك حتى أردتَ أن تقتُل رجلاً من قُريش ، أوَما تعلم أنك إذا ما فعلتَ ذلك صدَّقت قولَه ، وجعلْتنا أُحدوثة أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قَصيدة أُخرى تَناشَدها أهلُ مكة . قال : وما هى ؟ قال : قال :

أَلَا لا تَقُل مهلاً فقـد ذَهب المَهْـلُ ... وما كُل من يَلْحى مُحِبًّا له عَقْـلُ
لقـد كان فى حَوْلَين حالَا فلم أَزُرْ ... هَواى وإن خُوِّفتُ عن حُبِّها شُـغل
حَمَى الملكُ الجبَّـار عَنِّى لقـاءها ... فمِن دونها تُخْشَى المَتالفُ والقَتل
فلا خـيرَ فى حُبٍّ يُخاف وَبَالُه ... ولا فى حَبيبٍ لا يكون له وَصْـل
فوا كبـدى إنّى شُهرتُ بحُبها ... ولم يك فيما بيننا سـاعةً بَذْل
ويا عجباً إنى أُكاتم حُبَّهـا ... وقد شاع حتى قطِّعت دونها السُّبْل

فقال معاوية : قد والله رفَّهت عنّى ، فوالله ما كنتُ آمنُ أن يكون قد وصل إليها ، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وَصل ولا بَذْل ، فالخطبُ يسـير . قُم . فقام يزيد فانصرف . وحج معاويةُ فى تلك السنة ، فلمـا اُنقضتْ أيام الحجّ كَتب أسماءَ وجُوه قُريش وأشرافهم وشُعرائهم ، وكتب فيهم اُسم أبى دَهْبـل ، ثم دعاهم ، ففرّق فى جميعهم صـلاتٍ سنيّة وأجازهم جوائز كثيرة . فلمـا قَبض

أبو دَهْبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية فرجع إليه . فقال له : يا أبا دَهْبل ، ما بالى رأيت أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قوارِصَ تأتيه عنك، وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خصمائنا ومواليا ، لا تَعرض لأبى خالد . فجعل يَعتذر إليه و يَحلف أنه مَكْذوب عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يَضُرّك هذا عندنا . هل تأهّلت ؟ قال : لا . قال : فأىّ بنات عَمّك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة . قال : قد زَوّجكها أمير المُؤمنين وأَصدقها ألفى دينار ، وأَمر لك بألف دينار . فلما قَبضها قال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يَعْفُو لى عما مَضى ، فإن نطقتُ ببيتٍ فى معنى ما بَلغه وسَبق منّى فقد أبحتُ به دَمى ، وفلانةُ التى قد زوّجنيها أميرُ المؤمنين طالقٌ البتةَ . فسُر بذلك معاوية وضَمن له رِضا يزيد عنه ، ووعده بإدرار ما وَصله فى كُل سنة ، وانصرف إلى دِمَشق ، ولم يحج معاوية فى تلك السنة إلا من أجل أبى دَهْبل .

هو وشامية تزوجها

وذكر أن أبا دَهْبل خَرج يريد الغَزو ، وكان رجلاً صالحاً عفيفاً ، وكان جميلاً ، فلما كان بجَيرون جاءته امرأة فأعطتْه كتاباً وقالت له : اقرأ هذا الكتاب . فقرأه لها . ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ، ثم خرجت إليه وقالت : لو بلغتَ القَصْر فقرأت الكِتاب على امرأة كان لك فيه خير كثير ، فإنه من غائب لها يَعنِيها أمرُه . فبلغ معها القَصْر ، فلما دخل إذا فيه جَوارٍ كثيرة ، فأغلقْن القَصر عليه ، و إذا امرأة وضيئة الوجه ، فدعتْه إلى نفسها ، فأبى ، فأمرت به فَحُبس فى بَيت فى القَصر ، وأُطعم وسُقى قليلاً قليلاً ، حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعتْه إلى نفسها ، فقال : أما حَراماً فلا يكون ذاك أبداً ، ولكن أتزوّجك . قالت : نعم . فتزوّجها . فأمرت به فأُحسن إليه حتى رجعت نفسُه إليه . فأقام معها زماناً طويلاً لم تَدَعْه يخرج ، حتى أيس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه و بناتُه ، واقتَسموا مالَه ، وأقامت زوجتُه تبكى عليه حتى عَمِشَتْ ، ولم تُقاسمهم مالَه . ثم قال لامرأته التى

هو عنـدها : قد أَثِمْتِ فىّ وفى وَلدى وأهلى ، فَـأْذَنى لى أُطالِعهم وأعود إليك . فأخذت عليـه أيماناً ألّا يُقيم إلا سنةً ثم يعود إليها : فخرج من عندها يقطع البلادَ[1] ، حتى قَدِم على أهله، فرأى حال اُمرأته وما صار إليه ولدُه . وجاءاليه ولدُه ، فقال لهم : لا والله ما بينى و بينكم عَمل ، أنتم قد ورثتمونى وأنا حَىّ ، والله لا يَشْرك زَوْجتى فيما قدمتُ به أحد . وقال لهـا : شأنَك به فهو لك كُلُّه . وقال قَصيدته النُّونية التى تقدَّم ذكرُها . فلما جاء الأجل أراد الخُروجَ إلى اُمرأته التى تزوّجها بالشام ، فجاءه خبرُ موتها ، فأقام .

من شعره فى مدح ابن الأزرق

ومن جيّد شعر أبى دَهْبل قولَه فى اُبن الأزرق ، وهو عبد الله بن عبد الرّحمن ابن الوليد بن عبد شَمس بن الْمُغيرة بن عبد الله بن عُمر المخزومى ، يَمدحه فى أبيات :

لئن كفرتُكَ ما أوْليتَ من نِعَم ... إنِّى لنى اللُّؤْم أَحظى منك[2] بالكَرمِ
وكيف أَنْسَاك لا نُعْماك واحـدةٌ ... عندى ولا بالّذى أسْـديتَ من قِدَم

وكان اُبن الأزرق هـذا قد ولّاه ابن الزُّبير بعضَ أعمـال اليمن ، فمدّ يده فى أموالها وأعطى عَطايا سنيّة ، و بثّ فى قُريش منها أشياء جَزيلة ، فتهافتتْ قُريش عليه ، ووَفدوا إليه ، فأَسنى لهم العطايا . و بلغ ذلك اُبن الزُّبير فعَزله بإبراهيم بن سَعد ابن أبى وقّاص . فلمّا قَدِم عليه أراد أن يُحاسبه ، فقال له : مالك عندى حِساب ، ولا بَيني و بينك عَمل . فخافت قُريش أن يُفتِّشه اُبنُ الزبير أو يَكْشِفه ، فلبست السلاحَ وخَرجت إليه لتمنعه . فلما لَقيهم نزلتْ قُريش فسلّمت عليه ، و بَسطت له أَرْديتها ، وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمَجامر الأَلُوّة والعُود المَنْدَلىّ يُبَخِّرون بين يديه ، حتى اُنتهى إلى المسجد ، فطاف بالبيت، ثم جاء إلى اُبن الزُّبير فسلّم عليه ، وهم به

(١) فى الأغانى : « يجر الدنيا » . يريد أنه خرج بخير كثير .

(٢) رواية هذا البيت فى الأغانى :

ماذا رزئنا غداة الخل من رمع ... عند التفرق من خيم ومن كرم

(والخل : موضع باليمن فى وادى رمع) .

يُطيفون . فعلم ابنُ الزُّبير أنه لا سَبيل إليه ، فما عَرض له ولا صَرّح له بشيء . ومَضى إلى منزله . فقال أبو دَهْبل :

فمن يَكُ شانَ العزلُ أو هدّ رُكنَه ... لأعدائه يوماً فما شانكَ العزْلُ
وما أصبحتْ من نعمةٍ مُستفادةٍ ... ولا رَحِمٍ إلا عليها لك الفَضْل

وقال فيه أيضاً :

عُقِم النِّساء فلم يَلِدْن شبيهَه ... إنّ النِّساء بمثله عُقْمُ
مُتهلِّل بنَعَم بلا مُتباعِدٌ ... سيَّان منه الوَفْر والعُدْم
نَزْر الكلام من الحَياء تَخاله ... ضَمِناً[1] وليس بجسمه سُقْم

من جيد شعره

ومن جيِّد شِعر أبى دَهْبل :

أأتْرُكُ ليلَى ليس بيني و بَينها ... سِوَى ليلةٍ إنِّى إذاً لَصبُورُ

وهذا البيتُ من أبيات تقدَّم ذِكْرُها ونُسبت إلى المَجنون ، والصحيح أنها لأبى دَهْبل .

(١) الضمن : المريض .

أخبار الحسين بن الضحاك

نسبه

قيل: إنه باهليٌّ صَلِيبةٌ[1] . وقيل : بل مولًى باهلة .

قال أبو الفرج : وهو الأَصح .

منشؤه وشعره

وهو بَصْرىّ المَولد والمَنشأ . من شُعراء الدولة العباسية ، وأحد نُدماء الخلفاء من بنى العبّاس ، وأول من جالس منهم محمد الأمين بن زُبيده . وهو شاعر أديب ظريف مَطبوع غَزِل ، حَسن التصرُّف فى الشعر ، حُلْو المَذهب ، لشعره قبول ورَونق صافٍ .

انتفاع أبى نواس بمعانيه

وكان أبو نُواس يأخُذ معانيه فى الخَمر فيُغير عليها ، و إذا شاع له شعر نادر فى هذا المعنى نَسبه الناسُ إلى أبى نُواس .

لقبه وموته

وكان يُلقَّب بالخَليع والأشقر . وعُمِّر عُمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة،ومات فى خلافة المُستعين ، أو المُنتصر .

هو وأبو نواس

وحَكى الحُسين بن الضحَّاك الخَليع قال : أنشدت أبا نُواس لما حججتُ قصيدتى التى قلتُها فى الخمر ، وهى :

بُدِّلتُ من نَفحات الوَرْد بالآء ... ومِن صَبُوحك دَرَّ الإِبْل والشاء

حتى انتهيت إلى قولى :

حتى إذا أُسْندتْ فى البيت واحتُضرتْ ... عند الصباح[3] ببسّامين أكفاء

فُضَّت خواتمُها فى نَعْت واصفها ... عن مثل رَقْراقةٍ فى جَفْن[2] مَرْهاء

---

(١) صليبة : خالص النسب .

(٢) فى الأغانى : « الصبوح » .

(٣) الرقراقة : الدمعة تترقرق فى العين ولا تسيل . والمرهاء : المرأة لم تكتحل .

قال : فصَعِق صَعْقةً أَفزعتنى ، وقال : أحسنت والله يا أشقر ! فقلت : ويلك يا حسن ! لقد أفْزعتنى والله . فقال : بل أنت والله أفزعْتنى ورُعْتَنى ، هذا معنًى من المعانى التى كان فِكْرى لا بُدَّ أن يَنْتهى إليها ويَغُوص عليها ، وقد سبقْتنى إليه واُختلسْته منِّى ، وستَعلم لمن يُرْوى : إلىّ أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له .

مع المأمون بعد الأمين

وقيل :

كان الحُسين الخَليع مُنقطعاً إلى محمد الأَمين ، فلما قُتل محمد الأَمين وأفضت الخلافةُ إلى أخيه المأمون ، وقَدم بغـدادَ من خُراسان أمر أن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليُجالسوه ويُسامروه . فذُكر له جماعةٌ منهم الحُسين بن الضحَّاك الخليع ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ اسم حُسين . فقال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلَّا بَقِيتَ لسـدٍّ فاقتنا أبداً وكان لغيرك التَّلفُ

فلقـد خلفتَ خلائفاً سلَفُوا ولسوفَ يُعْوِز بعدك الخَلَف

لا حاجةَ لى فيـه ، والله لا يرانى أبداً إلا فى طريق . ولم يعاقبْه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . فانحدر الحُسين إلى البصرة وأقام بها طول أيام المأمون .

صالح ابن الرشيد والمأمون فى أمره

وحَكى صالح بن الرَّشيد قال :

دخلتُ على المأمون ومعى بِنْتان للحُسين الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أُحب أن تَسْمع منِّى بيتين ، قال : أنشدهما . فأنشدته :

حَمِدْنا اللهَ شُكْراً إذ حَبانا بنَصْرك يا أمـير المُؤمنينا

فأنت خليفـةُ الرَّحمٰن حقًّا جمعتَ سماحةً وجمعتَ دينا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حُسين

ابن الضحّاك . فقال : قد أحسن ! فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا . قال : وما هو ؟ فأنشدتُه قولَه :

أيبْخَلُ فَرْدُ الحُسْنِ فَرْدُ صِفاته ... علىّ وقد أفرَدْتُه بهوًى فَرْدِ
رأى اللهُ عبــدَ الله خيرَ عِباده ... فمَلَّكه واللهُ أعلَمُ بالعبــــد

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطيب نفسى له بخَير بعد ما قاله فى أخى محمد وقاله فىّ .

وقوف المأمون على شعر له غنى به ابن بانة عند صالح بن الرشيد

وحُكى أن صالح بن الرَّشــيد قال لعمرو بن بانة يوماً ، وهو عنده : لستَ تَطرح على جوارىّ وغِلْمانى ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ! أبعث إلى مَنزلى فجِيء بالدَّفاتر التى فيها الغِنــاء وأختر منها ما شئت حتى أُلقيَه عليهم . فبعث إلى منزله فجىء بدفاتر الغِناء ، فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه ، فمرّ به شعرُ الحُسين بن الضحاك يَرثى محمداً الأمين ويَهجو المأمون ، وهو :

أَطِلْ جَزَعاً وابْكِ الإمامَ محمــداً ... بحُزن وإن خِفْتَ الحسام المُهنَّدَا
فلا تمَّت الأشياء بعد محمــــدٍ ... ولا زال شَمــلُ المُلك فيه مُبدَّدا
ولا فَرِح المأمونُ بالمُلك بعــده ... ولا زال فى الدُّنيا طَريدا مُشرَّدا

قال عمرو بن بانة : فقال لى صالح : أنت تَعــلم أن المأمون يجيء إلىّ فى كُل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تُراه يكون فاعلاً ؟ ثم دعا بسكّين وجعــل يحكُّه ، وصَعد المأمون من الدَّرجة ورَمى صالح بالدَّفتر . فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر . فأُتى به ، فنَظر فيه ووقف على الحَكّ وقال : إن قلتُ لــكم ما كنتم فيه تَصْدقُونى ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغى أن يكون أخى قال لك : ابعث فجِيء بدَفاترك لنتخيّر ما نَطرحه على الجوارى . فوقف على هذا الشِّعر فكَرِه أن أراه ، فأمر بحــكه . قلنا : كذا كان . قال : غنِّه يا عمرو . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحُســين بن الضحَّاك

والغناء لسعيد بن جابر. قال: وما يكون! غنِّه. فغنيته. قال: أردُده. فرددته ثلاث مرات. وأمر لى بثلاثين ألف درهم وقال: حتى تعلم أنه لم يضُرْك عندى.

حزنه على الأمين ومن مراثيه فيه

قيل:

وكان الحسين بن الضحّاك كثيرَ المَراثى فى محمد الأمين، شديد الجزع عليه. وكان لفَرْط محبَّته وجَزعه لقتله أنه خُولط فى عَقله، فكان يُنكر قَتله، ويَدفعه ويقول: إنه مُستتر، وإنه قد بَثّ دُعاتَه فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره. فكان يَطمع فى عَوده إلى مُلكه والاجتماع به. ومن جيد مراثيه فيه:

سألونا أنْ كيف نحن فقُلنا ... مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدَّهـ ... ـر فظَلْنا لرَيْبِه نَسْتكين
نَتمنَّى من الأمين إياباً ... لَهْفَ نَفْسى وأين منَّا الأمين

ومن جيد مراثيه فيه قوله:

أُعزِّى يا محمد عنك نَفسى ... معاذَ الله والأيدى الحسامِ
فهلاّ مات قومٌ لم يموتُوا ... ودُوفع عنك لى يومُ الحِمام
كأن الموتَ صادف منك غُنْماً ... أو استشفى بقُربك من سَقام

تهنئة المعتصم بفتنة عمورية

وذُكر[1] أنه لما افتتح المُعتصم بن الرَّشيد عَمُّورية من بلاد الرُّوم امتدحه الشُّعراء بذلك وذكروا حُسن فِعله، وكان أحسن ما مدح به يومئذ، وما قدَّمه أهلُ العِلْم على سائر ما قاله الشعراء قولَ الحسين بن الضحاك:

قل للأُلى صَرفوا الوُجوه عن الهدى ... مُتعسِّفين تعسُّف المُرّاق
إنى أُحذِّركم بوادرَ ضَيْغم ... دَرِبٍ بحَطْم موائل الأعناق
مُتأهبٍ لا يَستفزُّ جَنانُه ... زَجِلُ الرُّعود ولامعُ الإبْراق
لم يَبْقَ من مُتعرِّمين[2] تَوثَّبوا ... بالشَّام غيرُ جَماجِمٍ أفْلاق

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى ولاية المعتصم وتهنئة الشعراء له بها
(٢) المتعرمون: ذووا العرامة والشراسة.

من بين مُنْجدل تَمُجّ عروقُه عَلَق الأَخادع أو أسيرٍ وَثَاق
وثنى الخُيولَ إلى مَعاقل قَيْصر تَخْتال بين أسنةٍ (١) ورِقاق
يَحْملن كُلَّ مُشمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ لَيْثٍ هِزَبْرٍ أَهْرت (٢) الأَشداق
حتى إذا أَمَّ الحُصونَ مَنازلاً والموتُ بين ترائبٍ وتَراقى
هَرَّت بطارقُها هَريرَ قَساورٍ بُدِهتْ بأَكْرَهِ مَنْظرٍ ومَذَاق
ثم اسْتكانتْ للحِصار ملوكُها ذُلاً وناط حلُوقَها بخِناق
هَربتْ وأَسلمت الصليبَ (٣) حُماتُها لم يَبق غيرُ حُشاشة الأَرماق

فأَمر له المُعتصم لكُل بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حُسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادح فى دولتنا . فقبّل الأرض بين يديه وشكره ، وحَمل المال معه .

استجاد الرياشى شعراً له فى الخمر

وقيل : وكان الرِّياشى يَستجيد قولَ الحُسين بن الضحاك فى الخمر :

إذا ما الماءُ أمكننى وصَفْوُ سُلافةِ العِنَبِ
صَبَبتُ الفِضَّةَ البَيضا ءَ فوق قُراضة الذَّهب

أخذ أبو نواس معنى له فى الخمر

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال : أنشدت أبا نُواس قصيدتى التى أولُها :

وشاطِرِىِّ اللِّسانِ مُخْتَلقُ التَّكْـ ـريهِ شابَ المَجونَ بالنُّسُكِ

حتى بلغتُ إلى قولى :

كأنما نُصْبَ كاسه قمرٌ يَكْرع فى بعض أَنْجُم الفَلَكِ

قال: فأَنشدنى أبو نُواس بعد أيام لنفسه :

إذا عَبّ فيها شاربُ القوم خِلْتَه يُقبِّل فى داجٍ من اللَّيل كوكبَا

(١) كذا فى التجريد : يريد الرماح والسيوف . والذى فى بعض أصول الأغانى : « أحرة » وفسروها فقالوا : الغليظ من الأرض . كما فسروا « الرقاق » بالمستوية منها .
(٢) المتغشم : الغضوب . وأهرت الأشداق : واسعها .
(٣) فى الأغانى : « عشية » مكان « حماتها » .

فقلت له :يا أبا علىّ ، هذه مُصالتةٌ (١) . قال: فقال : أتظُن أنه يُروى لك فى الخمر معنًى جيّد وأنا حىّ !

قلتُ : و بيت أبى نُواس ، و إن كان معناه مسروقاً من الحُسين ، أحسنُ ، فإن لفظ « يُقبل » ألطف من لفظ « يكرع » .

تهنئة الواثق بالخلافة

وقيل :

لما تُوفِّى المُعتصم ، وولى اُبنه الواثقُ الخلافةَ ، دَخل عليه اُلحسين بن الضحّاك وأنشده قصيدتَه التى أولها :

أَلم يَرُعِ الإسلامَ موتُ نَصيره ... بَلَى حَقّ أن يَرتاع من مات ناصرُه

هو الملكُ المَجبول نفساً على التُّقَى ... مُسلَّمةٌ من كُل سُوء عَساكره

سيُسليك عمّا فات دولةُ مُفْضلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخـــره

ثَنى اللهُ عِـطْفَيْه وأَلَّف شَخصَه ... على البِرِّ مُذْ شُدَّتْ عليه مآزره

يَصَبُّ (٢) بَبْذل المال حتى كأنما ... يَرى بذلَه للمالِ نَهْباً يُبادِره

فما قدّم الرحمٰنُ إلاَّ مُقدَّما ... مـواردُه محمودةٌ ومَصادره

فقال الواثق : إن كان الحُسين لَيَنطق عن صحّة طويّة ، و يمدح بخُلوص نية . ثم أمر بأن يُعْطَى لكُل بيْت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . وأعجبته هذه الأبيات حتى أمر فصُنع فيها عِدةُ ألحان .

وحكى الحُسين بن الضحاك قال :

أنشد الواثق فى يوم غيم

دخلتُ على الواثق ذاتَ يوم وفى السماء لَطْخ غَيم (٣) . فقال : يا حُسين ، ما الرأىُ عندك فى هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكم به وأشار إليه

(١) المصالتة : أن يأخذ الشاعر البيت لغيره لفظاً و معنى .
(٢) يصب : يولع .
(٣) أى قليل غيم .

قبلى أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصوابٍ لا يُرد ، وجعله فى شعر لا يُعارض.

قال : وما قال ؟ قلت : قال :

أرى غَيماً تُؤلِّفه جَنوبٌ ... وأحسبه سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرَّأى أن تَدْعو برِطْلٍ ... فتشربه وتَدْعو لى برِطْل

فقال : أصبتُما ، ودعا بالطَّعام والشراب والمُغنِّين والجلساء واُصطبحنا .

وقيل :

وصف ليلة مع الواثق

كان الحُسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثُلث الليل ، فأمر أن يَبيت مكانَه . فلما أصبح خَرج إلى النُّدماء وهم مُقيمون ، فقال لحُسين : هل وصفتَ ليلَتنا الماضيةَ وطيبهَا ؟ فقال : لم يَمض شىء، وأنا أقول الساعةَ . وفكّر هُنيهة ، ثم قال :

حَثَّت صَبُوحى فكاهةُ اللَّاهِى ... وطاب يَومى بقُرب أَشباهِى
فاُستَتِر اللهوَ من مَكامنه ... مِن قبل يومٍ مُنغِّصٍ ناهِى
بابنة كَرْمٍ من كَفِّ[1] مُنْتطِق ... مُؤتزر بالمُجون تَيّاه
يَسْقيك من طَرَفه ومِن يده ... سَقْى لَطيفِ مُجرِّب داهِى
كأساً فكأساً كأن شاربهَا ... حيرانُ بين الدَّكور والساهى

فأمر الواثق بردّ المجلس كهيئته ، واُصطبح يومَه ذلك معهم، وقال : نُحقِّق قولَك يا حُسين ونَقضى لك كُل أرب وحاجة .

هو وجارية للواثق غضبت عليه

وحكى حُسين بن الضحّاك قال :

كانت لى نوبةٌ فى دار الواثق أحضُرها ، جَلس أو لم يَجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلة فى حُجرتى إذ جاءنى خادم من خَدم الحَرَم فقال لى : قُمْ فإن أمير المؤمنين يَدعوك . فقلتُ له : ما الخبر ! فقال : كان نائماً وإلى جَنْبه حَظِيَّة له ،

(١) المنتطق : الذى شد وسطه بمنطقة .

فقام وهو يظنها نائمة ، فألم بجارية أخرى له ، ولم تكن ليلةَ نَوْبتها ، وعاد إلى فراشه . فغضبتْ حَظِيَّتَه وتركتْه حتى نام ، ثم قامت ودخلت حُجرتها ، فانتبه وهو يظنها عنده ، فلم يَجدها ، فقال : اختُلست عزيزتى ، ويحكم ! أين هى ؟ فأخبرناه الخبر وأنها غَضبت ودخلت حُجرتها ، فدعا بك . فقلت فى طريقى :

غضبتْ أن زُرتُ أُخرى خِلْسةً ... فلها العُتْبَى لدينا والرِّضَا
يا فدَتْك النَّفسُ كانت هفوةً ... فاُغفريها واُصْفَحى عمّا مَضى
واُترُكى العذلَ على من قاله ... واُنسُبى جَوْرِى إلى حُكم القَضا
فلقد نَبَّهتِنى من رَقْدتى ... وعلى قَلبى كنِيران الغَضا

فلما جئتُه خبَّرنى بالقصة وقال لى : قُل فى هذا شيئاً . ففكّرتُ هُنيهةً كأنى أقول شعراً ، وأنشدته الأبيات . فقال : أحسنت وحياتى ! أَعدها يا حُسين . فأعدتُها عليه حتى حَفِظها ، وأمر لى بخمسمائة دينار ، وقام ، فمضى إلى الجارية . وخرجتُ أنا إلى حُجرتى .

شعره فى جارية للواثق ماتت فرآها فى النوم

وحَكى حُسين الضحّاك قال :

كان الواثقُ يتحظَّى جاريةً فماتتْ فجزع عليها جَزَعاً شديداً ، وترك الشُّرب أياماً ، ثم تَسلّاها وعاد إلى حاله . فدعانى ليلةً وقال لى : يا حسين ، رأيت فلانة فى النَّوم ، فليت نَومى كان قد طال لأتمتّع بلقائها ، فقُل فى هذا شيئاً . فقلتُ :

ليت عَينَ الدَّهر عنّا غَفلتْ ... ورقيبَ اللَّيل عنّا رَقَدَا
وأقام النومُ فى مُدّته ... كالذى كان وكُنّا أبدا
بأبى زَوْرٌ[1] تلفَّتُّ له ... فتنفَّستُ إليه الصعُدا
بينما أضحك مَسروراً به ... إذ تقطَّعتُ عليه كَمدا

فقال الواثق : أحسنت ! ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ له : وإنما رأيتُ الرُّؤيا نهاراً . ثم عاد إلى مَنامه فرَقد .

(١) الزور : خيال يرى فى النوم

بينه و بين ابن المهدى و كان عربد عليه

وحُكى أن الحُسين بن الضحّاك شَرب يوماً عند إبراهيم بن المَهدىّ ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ فى أمر الدين والمَذهب ، فدعا له إبراهيم بِنطْع وسَيف ، وقد أخذ منه الشراب . فانصرف الحُسين وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر و يسأله أن يجيئه . فكتب إليه :

نديمى غيرُ مَنسوبٍ إلى شىء من الحَيْفِ
سقانى مثلَ ما يشر ب فِعْلَ الضَّيْف بالضَّيف
فلما دارت الكأسُ دعا بالنِّطْع والسَّيف
كذا مَن يَشرب الراح مع التِّنِّين فى الصَّيف

فلم يعد إلى مُنادمته مدةً . ثم إن إبراهيم تَحمَّل عليه [1] ووَصله . فعاد إلى مُنادمته .

توسله بابن سعدة ليشفع له عند المأمون

وذُكر أنه لما أعيت الحُسينَ بن الضحّاك الحيلةُ فى رضا المأمون عنه، رمَى بأمره إلى عمرو بن مَسْعده وكتب إليه :

أنت طَوْدى من بين هذى الهِضَابِ وشِهابى من دون كُلِّ شِهابِ
أنتَ يا عمرو قُوتى وحيَاتى ولِسانى وأنت ظُفْرى ونَابى
أتُرانى أنسَى أياديكَ البيضَ إذ أسود نائلُ الأصحاب
أين عطف الكرام فى مأقط[2] الحا جة يحمون حَوزة الآداب
أين أخلاقُك الرضيّة حالت فىّ أم أين رِقّة الكُتّاب
أنا فى ذمّة السحاب وأظما إن هذا لوصمةٌ فى السَّحاب
قُم إلى سيِّد البريّة عنِّى قومةً تَستَجِرُّ حُسْنَ خِطاب
فلعلّ الإله يُطفىء عنِّى بك ناراً علىّ ذاتَ التهاب

(١) تحمل عليه : ترضاه . (٢) المأقط : به الضيق .

فلم يزل عمرو بن مَسعده يتلطّف للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ عليه أرزاقه .

بينه و بين المأمون فى شعر قاله فى رثاء الأمين

وذُكر أنه لمّا دخل على المأمون ، قال له : أخبرنى عنك : هل عرفتَ يوم قُتل أخى محمد هاشميّةً قُتِلت أو هُتِكت ؟ قال : لا . قال : فما مَعنى قولك :

(١) ومّما شَجا قَلْبى وكَفْكف عَبرتى ... مَحارمُ مِن آل النبىّ اُستُحِلَّتِ

ومنهوكة بالُحلد عنها سُجوفَها ... كَعَاب كقَرن الشَّمس حين تَبدَّت

إذ حَفزتها لوعةٌ من منازع ... لها الفُرط عاذت بالُخشوع وزَنَّت

وسِرب ظباءٍ من ذُؤابه هاشمٍ ... هَتَفْن بدَعْوى خير حىٍّ ومَيِّت

أُرُدّ يداً منِّى إذا ما ذكرته ... على كبدٍ حَرَّى وقلب مُفتَّت

فلا بات ليلُ الشامتين بِغبْطةٍ ... ولا بلغتْ آمالهم ما تَمنَّت

فقال : يا أمير المُؤمنين ، لوعةٌ غلبتْنى ، وروعة فاجأتنى ، ونعمةٌ سُلبتها (٢) بعد أن غمرتْنى ؛ وإحسانٌ شكرتُه فأَنطقنى ، وسيِّد فقدتُه فأقلقنى ؛ فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك . فدمعَت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار رِزقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذَنْبك اُمتناعى من اُستخدامك .

وحكى عمرو بن بانة قال :

شعره فى غلام لصالح بن الرشيد غنى فيه عمرو بن بانة

كُنّا عند صالح بن الرَّشيد ليلة ، ومعنا حُسين بن الضحّاك ، وذلك فى خلافة المأمون ، وكان صالح يَهْوى خادماً له ، فغاضبه فى تلك الليلة فتنحَّى عنه ، وكان جالساً فى صَحنٍ حوله نرجس كثير ، فى قَمرطالع حَسن . فقال للحُسين : قُل فى مَجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنّى فيها عمرو بن بانة . فقال حُسين :

وصف البدرُ حُسن وجهك حتّى ... خِلْتُ أنّى وما أَراكَ أَراكا

---

(١) لم ترد الأبيات الثلاثة الأولى فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « فقدتها » .

و إذا ما تنفّس النَّرجسُ الغضُّ توهّمته نَسيمَ شَـــذا كا
خُـدَعٌ للمُنى تُعلِّلنى فيضُـــك بإشراق ذا وبَهجة[1] ذاكا
لأَدُومن يا خليلى على العهـ ـد[2] لهذا وذاك إذ حَكيا كا

فقال لى صالح : تغنّ فيها . فغنّيتُ فيها من ساعتى .

هو والمتوكل وشفيع خادمه

وحُكى أن المتوكل على الله أحب أن يُنادمه حُسين بن الضحّاك ، وأحب أن يرى ما بَقى من ظَرفه وشَهوته ، لما كان عليه ، وكان قد كَبِر وضَعُف ، فسقاه حتى سَكر ، وقال لخادمه شَفيع : اُسْقه . فسَقاه وحيّاه بوَردة ، وكانت على شَفيع ثيابٌ مورَّدة . فمدّ الحُسين يدَه إلى ذراع شَفيع . فقال له المتوكل : وَيحك ياحُسين! أتُجَمِّش أخصَّ خَدمى عندى بحَضرتى، فكيف لو خلوتَ ! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكل غَمز شَفيعاً على العَبث به : فقال الحُسين بن الضحّاك : ياسيدى ، أريد دواةً وقِرطاساً . فأمر له بذلك . فكتب بخَطِّه :

وكالوردة الحَمراء حيَّـــا[3] بوردة من الورد يَمشى فى قَراطِقَ[4] كالوَرْدِ
له عَبَثـــاتٌ عند كل تَحيّـــةٍ بكفَّيه تَستدعى الحليمَ إلى الوَجد
تمنّيتُ أن أُسقى بكَفَّيه شَرْبةً تُذكّرنى ما قد نَسيتُ من العَهد
سقى الله عيشاً لم أَبت فيه ليـــلةً من الدّهر إلاّ[5] مِن حَبيب على وَعد

ثم دفع الرُّقعة إلى شَفيع وقال له : اُدفعها إلى مَولاك . فلما قرأها اُستملحها وقال : أحسنت والله يا حُسين ! ولو كان شَفيع ممن تجوز هبتُه لوهبتُه لك . ولكن بحياتى يا شَفيع إلا كُنت ساقيه بقية يومه هذا ، واُخْدُمه كما تَخدُمنى . وأمر له بمال كثيرٍ . فحُمل معه لما اُنصرف .

---

(١) فى الأغانى : « ونفحة » . (٢) فى الأغانى : « لأقيمن ماحييت على الشكر » .
(٣) فى الأغانى : « بأحمر » مكان « بورده » .
(٤) القراطق : جمع قرطق . وهو قباء ذو طاق واحد.
(٥) فى الأغانى : « سقى الله دهراً . . . : خلياً ولكن » .

شعره فى غلام

وحُكى أن الحُسين بن الضحّاك مَرّ به يوماً غلامٌ حَسن الصورة، فقال له بعضُ أصحابه : أتُحبه ؟ قال : نعم ، والله . قال : فأعْلمه . قال : هو أعلم بحُبى له منّى به . ثم قال :

عالمٌ بحُبِّيه ... مُطْرِقٌ من التِّيه
يوسفُ الجمالِ وفِر ... عونُ فى تَعدِّيه
لا وحقِّ ما أنا مِن ... عَطْفِه أُرجِّيه
ما الحياةُ نافعةٌ ... لى على تَأبِّيه
النَّعيمُ يَشغله ... والجمالُ يُطْغيه
فهو غير مُكترِثٍ ... للَّذى أُلاقيه
تائهٌ تُزهِّده ... فىّ رغبتى فيه

هو وصالح بن الرشيد وغلام أخيه يسر

وحُكى أن صالح بن الرَّشيد كان يتعشَّق يُسْرًا خادمَ أخيه أبى عيسى بن الرشيد ، وكان يُراوده عن نَفسه ، فيعده ولا يَفى له . فأرسله أبو عيسى يوماً إلى أخيه فى السَّحر يقول له : يا أخى ، إنِّى قد اشتهيت اليوم أن أصطبح ، فبحياتى لمَا ساعدتَنى وصرتَ إلىّ لنصطبح اليوم جميعاً . فسار يُسر إلى صالح وهو مُنْتَشٍ ، وقد شَرب فى السحر ، فأبلغه الرِّسالة . فقال : نَعم وكرامةً ، اُجلس أولا . فجلس . فقال : يا غلام ، أحضرنى عشرة آلاف دِرهم . فأحضرها . فقال له : يا يُسر ، دَعْنى من مواعيدك ومَطْلك ، هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتى ، وإلا فليس ها هنا إلا الغَصْب . فقال له : يا سيدى ، أنا أقضى الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراده وطاوعه . فقَضى حاجته . وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف معه . ثم خرج صالحٌ من خَلوته فقال للحُسين بن الضحّاك : يا حسين ، قد رأيتَ ما كُنّا فيه ، فإن حَضرك شىء فقُل . فقال :

أيا من طَرفُه سِحْرُ ومَن رِيقتُه خَمْرُ
تجاسرتُ فكاشفْ تُك لما غُلب الصَّبرُ
وما أحسنَ فى مِثلِ لك أن يَنْهَتِكَ[1] السِّتْر
وإن لامَنِى الناس ففى وَجهك لى عُذر
فدعنى من مواعيد لك إذ حيَّنك الدَّهر
فلا والله لا أبر ح أو يَنفصل[2] الأمر
فإما الغَصْب والذَّم وإما البَذل والشُّكر
فلو شئت تَيَسّرت كما سُمِّيت يا يُسْر
فكُن كاسمك لا تَمْ عُك النَّخوةُ والكِبْر
فلا فُزْتُ بحَظِّى منـ ـك إن ذاع له ذِكْر

فضحك صالحُ وقال: لعمرى لقد تَيَسّر يُسر كما قلت. فقال الحُسين: نعم، ومن لا يتَيسّر بعد أخذ الدِّية! ولو أردتنى أنا أيضاً لتيسّرتُ. فضحك ثم قال: نُعطيك يا حُسين الدِّية لحضُورك ومساعدتك، ولا نُريدك لما أردنا له يُسرا، فبئست المطية أنت!

شعره فى تهنئة الواثق بالخلافة

وذكر أنه لما ولى الواثق الخلافةَ جَلس للناس ودَخل إليه المُهنِّئون والشُّعراء، فمَدحوه وهنَّئوه، ثم استأذن الحُسين بن الضحّاك فى الإنشاد، وكان من الجُلساء فترفَّع عن الإنشاد مع الشُّعراء، فأَذن له. فأنشده قصيدته التى أولها:

أكاتمُ وَجدى فما يَنْكتم بمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنِّى عـلى حُسن ظنِّى به لأَحْذر إن بُحت أن يَحْتشم
ولى عند نَظرته[3] رَوعةٌ تُحقِّق ما قاله[4] المُتَّهم

(١) فى بعض أصول الأغانى: «ينتهك».
(٢) فى الأغانى: «فلا والله لا نبر * ح أو ينقضى».
(٣) فى الأغانى: «لحظة».
(٤) فى الأغانى: «ما ظنه».

وقد عَـــلم الناسُ أنّى له مُحِبٌّ وأحسبه قد عَلم
وإنى لمُغْضٍ على لَوعةٍ من الشَّوق فى كَبدى تَضْطرم

يقول فى مديحه :

يَضيق الفضاء به إن غدا بطَوْدَىْ أعاريبه والعَجم
ترى النصرَ يقدُم راياتِه إذا ما خَفَقْن أمام العَلم
وفى الله دوّخ أعـــداءه وجرّد فيهم سيوفَ النقَم
وفى الله يَكْظم من غَيْظه وفى الله يصفَح عمّن ظَلَم
رأى شِيمةَ الجُود محمودةً وما شِيَمُ المجد[1] إلا قِسَم
فراح على « نَعَمٍ » واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نَعم

فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتصلت أيامُه معه بعد ذلك ، ولم يزل فى نُدمائه .

بينه وبين أحد جند الشام

وحَكى الحُسين بن الضحّاك قال :

كان يألفنى إنسان من جُند الشام عَجيب الخِلقة والزىّ والشكل ، غَليظ جِلْف ، فكنت أحتمل ذلك له ، ويكون حظّى التعجبَ به . وكان يأتينى بكُتب من عشيقة له ما رأيت كُتباً أحلى ولا أظرف منها ، ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ، ويسألنى أن أُجيب عنها ، فأَجْهد نفسى فى الجوابات وأصرف عنايتى إليها ، على عِلْم بأن الشامى يجهله ، لا يُميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك علىّ حسدتُه وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها . فسألته عن اسمها ، فقال : بَصْبص . فكتبتُ إليها عنه فى جواب كتابٍ منها كان جاءنى به :

(١) فى الأغانى : « الجود » .

أَرْقصـنى حُبّك يا بَصْبص والحبّ يا سيّدتى يُرْقِصُ
أَرْمصْتِ أَجفانى بطُول البكا فما لأجفانك لا تَرْمَص
وا بأبى وجهُك ذاك الذى كأنه من حُسنه عُصْعُص

فجاءنى بعد ذلك فقال : يا أبا على ، جعَلني الله فِداك ، ما كان ذنبى إليك ، وما أردت بما صنعت ؟ فقلت له : وما ذاك ؟ عافاك الله ! قال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثتْ إلىّ : إنى مُشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية . فتعال إلى الرَّوْشن [1] الذى بالقُرب من بابنا فقفْ بحياله حتى أراك . فتزينتُ بأَحسن ما قدرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أنا واقفٌ أنتظر مُكلِّماً لى أو مشيراً إلىّ إذا شىء قد صُب علىّ فملأنى من قَرْنى إلى قدمى ، فأفسد ثيابى وسَرْجى وصيَّرنى وجميعَ ما علىّ ودابّتى فى نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذر ، وإذا هو ماء قد خُلط ببول وسواد وسِرْجين. [2] فانصرفتُ بخِزْى . وكان مامرّ بى من الصبيان وسائر من مررتُ به من الضّحك والطَّنْز [3] والصِّياح بى أغلظَ مما جَرى لى ، ولَحقنى من أهلى ومن فى مَنزلى شرٌّ من ذلك ، وأوجعُ وأعظم من ذلك أن رُسُلها انقطعتْ عنى جملةً .

قال : فجعلتُ أعتذر اليه وأقول له : إن الآفة أنها لم تَعلم معنى الشِّعر لجودته وفَصاحته ، وأنا أحمد الله تعالى على ما قاله ، وأُسرُّ الشماتةَ به .

شعر له أعجب بن الأمين لما غنى به

وذكر أن محمداً الأمين غنّاه بعضُ المُغنِّين بشعر الحُسين بن الضحّاك ، وهو غائب عن مجلسه ، وهو :

ألستَ تَرى دِيمةَ تَهْطِلُ وهذا صباحُك مُسْتقبَلُ

(١) الروشن : النافذة .
(٢) السرجين : الزبل .
(٣) الطنز : السخرية .

وهذى العُقار وقد راعنا بطَلعته الشادنُ الأكحل
فعاد بنا وبه سكرةٌ تُهوِّن مكروهَ[1] ما ينزل
فإنى رأيتُ له نظـــرةً تُخبِّرنا أنه يفعـــل

فطرب محمدٌ وأمر بإحضار الحُسين ، فحضَر .

هو وغلام أبى أحمد بن الرشيد

وذكر أنه كان الحُسين بن الضحّاك يتعشَّق خادماً من خَدم أبى أحمد ابن الرَّشيد ، فعمل فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة . فغَضب الخادم وعاتب الحُسين على قول ذلك الشعر . فقال الحُسين :

فدَّيتُ مَن قال لى على خَفَرِهْ وغَضّ جفناً له على حَوَرِه
سمَّع بى شعرُكَ المليح فما ينفكّ شـــادِيه على وَتَره
فقلتُ يامســتعيرَ سالفة الخِشـــف وحُسنِ الفُتور من نَظره
لاتُنكرنّ الحَنين من طَرَبٍ عاود قلبى[2] الصِّبا على كِبَرَه

هو وغلام جميل

وحكى أبو العَيناء قال :

وقف علينا حُسين بن الضحّاك يوماً ، ومعنا فتى جالسٌ من أولاد المَوالى ، جميل الوجه ، فحدّثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه ، والفتى مُعرض عنه ، حتى طال ذلك . ثم أقبل عليه حُسين فقال :

تَتيه علينا أن رُزقتَ ملاحةً فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بَدْرُ
لقـــد طالما كُنَّا مِلاحاً وربما صَـدَدْنا وتِهْنا ثم غيَّرنا الدَّهر

فقام وانصرف .

لم يرث الأمين استماعا لأبى العتاهية

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال :

---

(١) فى الأغانى : « ما تسأل » مكان « ما ينزل » .

(٢) فى الأغانى : « فيـــك » مكان « قلبى » .

كنت عازماً على أن أرثى محمداً الأمين بلسانى كُله ، وأشفى لوعتى ، فلقينى أبو العتاهية فقال لى : يا حُسين ، أنا إليك مائل ولك مُحب ، وقد علمتُ بمكانك من الأمين ، وأنت حقيق بأن ترثيه ، إلا أنك قد أطلقتَ لسانك فى التلهّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره ، وثلْباً له ، وتحريضاً عليه . وهذا المأمون مُنصبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ، فأبق على نَفسك . ويحك ياحسين ! أتجْسُر على أن تقول :

تركوا حريمَ أبيهمُ[1] نَفَلاً ... والمُحْصناتُ صَوارخٌ هُتُفُ

هيهاتَ بعدك أن يدوم لهم ... عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَف

اكفُف لسانَك ، واطْوِ ما قد انتشر عنك ، وتَلافَ ما فَرط منك . فعلمتُ أنه قد نصح لى ، فجزيتُه الخير ، وقطعتُ القول . فنجوتُ برأيه ، وما كدت أن أنجو .

هو وعلى بن يحيى وقد سأله عن أمسه

وحكى علىّ بن يحيى قال :

جاءنى يوماً الحُسين بن الضحّاك ، فقلت له : أىّ شىء كان خبرك أمس ، فقال لى : أُسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك . فقلت : هات يا سيدى . فقال :

زائرةٌ زارت على غَفلة ... يا حبَّذا الزَّورةُ والزَّائرهْ

فلم أزل أخدعها لَيلتى ... خديعةَ السّاحر للسّاحره

حتى إذا ما أذعنتْ بالرِّضا ... وأنعمتْ دارتْ بها الدائره

بتُّ إلى الصُّبح بها ساهراً ... وباتتْ الجَوزاءُ بى ساهره

أفعل ما شئت بها ليلتى ... ومِلْءُ عينى نعمةٌ ظاهره

فلمْ ننم إلّا على تِسعة ... من غُلْمة بى وبها ثائره

---

(١) النفل : الغنيمة .

سَقْياً لها لا لأخى شِعْرة شِعْرتُه كالشّعرة الوَافره
و بين رِجْليه له حَرْبةٌ مَشهورةٌ فى حَقْوه شاهره
وفى غدٍ تتبعها لحيةٌ تُلحقه بالكَرّة الخاسره

قال : فقلت له : زنيتَ يعلم الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .

هو وجارية تشكو

وذكر أن الحُسين بن الضحاك حَجَّ فمرّ فى مُنصرفه بموضع يُعرف بالقَريتين ، فإذا جارية تَطَّلع فى ثيابها وتنظُر فى حِرِّها وتقول : ما أضيعنى وأضيعك ! فأنشأ يقول :

مررتُ بالقَرْيتين مُنصرفاً من حيث يَقْضى ذوو النُّهى النُّسُكا
إذا فتاةٌ كأنها قَمرٌ للتِّمّ لما توسَّط الفَلَكا
واضعةٌ كفّها على حِرِّها تقول وضَيْعتى وضَيْعَتكا

فلما سمعتْ قوله ضحكت وغطّت وجهها ، وقالت : وافضيحتاه ! أوقد سمعتَ ما قلتُ !

هو وشفيع خادم المتوكل

وحكى مَيمون بن هارون قال :

كان حُسين بن الضحّاك صديقاً لأبى ، فكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت نفْسُه قد تَتَبَّعت شفيعاً خادم المُتوكل بعد انصرافه من مجلسه ! فأنشدنا لنفسه فيه :

وأبيض فى حُمْر الثّياب كأنه إذا ما بدا نِسْرينةٌ (١) فى شقائقِ
سقانى بكَفَّيه رحيقاً وسامنى فُسوقاً بعينيه ولستُ بفاسق
وأقسم لولا خشيةُ الله وحدَه ومن لا أُسمِّى كنتُ أولَ عاشق
وإنى لمعذورٌ على وَجَناته وإنْ وَسَمَتنى شَيبةٌ فى المَفارق

(١) النسرين : ضرب من الرياحين .

ولا عِشْقَ لى أو يُحْدِثَ الدهرُ شِرَّةً تَعود بعاداتِ السَّواد (١) المُفارق
ولو كنتُ شكلًا للصبا لأُتبعَتْه ولكن سنّى بالصّبا غيرُ لائق

له يسأل المتوكل رزق ابن له مات

وذكر أنه كان للحُسين الضحاك ابنٌ يُسمى محمد، له أرزاق، فمات فقُطعت أرزاقه. فقال يُخاطب المُتوكل و يسأله أن يجعل رِزق ابنه المُتوفى لزوجته وأولاده:

إنى أتيتُك شافعاً بولىّ عهد المُسلمينا
وشَبيهك المُعتَز أو جهِ شافعٍ فى العالَمينا
يا ابن الخلائف الأوّلين و يا أبا المُتأخِّرينا
إن ابن عَبدك مات والـ أيام تَخْترق القَرينا
ومَضى وخلَّف صِبيةً بِعراصه (٢) مُتلدِّدينا
ومُهَيْرةً عَبْرى خِلا فَ أقاربٍ مُستَعْبِرينا
أصبحنَ فى رَيب الحوا دث يُحسنون بك الظُّنونا
قَطع الوُلاةُ جِرايةً كانُوا بها (٣) مُتَمَسِّكينا
فامْنُن بردّ جَميع ما قَطعوه غيرَ مُراقبينا
أعطاك أفضلَ ما تؤمِّـ ـل أفضلُ المُتفضِّلينا

فأمر له المتوكل بما سأل. فقال يشكره:

يا خَير مُستخلَف من آل عبّاس اِسْلَمْ فليس على الأيّام من باسِ
أحييتَ من أملى نِضواً تَعاوَرَه تَعاقُبُ اليأس حتى مات باليأس

من ضربه من الخلفاء

وحكى الحُسين بن الضحّاك قال:

---

(١) فى الأغانى: «الشباب».
(٢) المتلدد: المتحير.
(٣) فى الأغانى: «مستمسكينا».

ضَرب بنى الرشيدُ فى خلافته لصُحبتى ولَده ، ثم ضَرب بنى محمدٌ الأمين لمُمايلة ابنه عبد الله ، ثم ضَرب بنى المأمون لمَيلى إلى أخيه محمد ، ثم ضَرب بنى المُعتصم لمودّة كانت بينى و بين العبَّاس بن المأمون ، ثم ضَرب بنى الواثق لشىء بَلغه من ذهابى إلى المتوكل ، وكُل ذلك يَجرى مَجرى الوَلع بى والتحذير لى . ثم أحضرنى المُتوكِّل يريد أن يضربنى ، وأمر شفيعاً بالوَلع بى ، فتَغاضب المتوكل علىّ . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تُريد أن تضربنى كما ضربنى أباؤُك فاُعلم أن آخر ضَرب ضُربتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حُسين وأصونك وأكرمك .

وحَكى محمد بن محمد بن مَرْوان الأَبزارىّ قال :

دخلتُ على الحُسين بن الضحاك فقلت له : كيف أنت ؟ جعلنى الله فِداءك ! هو فى أواخر أيامه فبكا ، ثم أنشأ يقول :

أصبحتُ من أُسراء الله مُحْتَبَسًا ... فى الأرض نحو قَضاء الله والقدَر
إنّ الثمانين إذ وفّيتُ عِدَّتها ... لم تُبْق باقيةً منى ولم تَذَرِ

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الحسين بن الضحاك ، هو : الشعر الذى فيه الغناء

ألا أيها الشادنُ الأكحلُ ... إلى كم تقُول ولا تَفعلُ
إلى كم تَجود بما لا نُريـ ... ـد منك وتَمنع ما نسأل